

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[458] كثير، وفي عين كثرته واحداً .. وفي الآية التالية يُبيّن أهم ما يحتويه القرآن وما هو أساسه وهو التوحيد والوقوف بوجه الشرك (ألاّ تعبدوا إلاّ الله) (1) وهذا أوّل تفصيل لمحتوى هذا الكتاب العظيم. والثّاني من محتويات الدعوة السماوية: (أنّني لكم نذير وبشير).. نذير لكم من الظلم والفساد والشرك والكفر، وأُحذركم من عنادكم وعقاب الله لكم! وثالث ما في منهج دعوتي إليكم هو أن تستغفروا من ذنوبكم وتطهروا أنفسكم من الأدران: (وأن استغفروا ربّكم). ورابعها هو أن تعودوا إلى الله بالتوبة، وأن تتصفوا - بعد غسل الذنوب والتطهر في ظل الاستغفار - بصفات الله، فإنّ العودة إليه تعالى لا تعني إلاّ الاقتباس من صفاته (ثمّ توبوا إليه). في الواقع إنّ أربع مراحل من مراحل الدعوة المهمّة نحو الحق سبحانه بيّنت في أربع جمل وفي أربعة أقسام، فقسمان يتضمنان الجانب "العقدي" والأساسي، وقسمان يتضمنان الجانب "العملي" والفوقاني. فقبول أصل التوحيد ومحاربة الشرك، وقبول رسالة النّبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إعلان اعتقاديّان، والتطهّر من الذنوب والتخلّق بالصفات الإلهية - اللذان يحملان معنى البناء بتمام معناه - أمران عمليّان حصّ عليهما القرآن، وإذا تأملنا بدقّة في الآيات الكريمة وجدنا أن جميع محتوى القرآن يتلخص في هذه الأصول الأربعة .. هذا هو الفهرس لجميع محتوى القرآن، ولجميع محتوى هذه السورة أيضاً. ثمّ بيّنت الآيات النتائج العملية لموافقة هذه الأصول الأربعة أو مخالفتها بالنحو _____ (1) في جملة (ألاّ تعبدوا إلاّ الله) احتمالان: الأوّل: إنّ الله على لسان النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم) - كما أشرنا إليه - والتقدير: دعوتي وأمرني إلاّ تعبدوا إلاّ الله، والثّاني: أنّ الله كلام الله، والتقدير: آمركم ألاّ تعبدوا إلاّ الله، ولكن جملة (إنّني لكم نذير وبشير) تنسجم مع المعنى الأوّل.